

إقامة البرهان في الرد على من أنكر
خروج المهدي والدجال
ونزول المسيح في آخر الزمان

للشيخ/ حمود بن عبد الله التويجري



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العـــالمين، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين، وبعد:

فقد رأيتُ في المجلَّة المسمَّاة "المســلمون" مقــالاً لعبدالكريم الخطيب، أنْكرَ فيه ما أخــبر به رســولُ الله - صــلَّى الله عليه وســلَّم - من ظهــور المهــديِّ في آخِر الزمان، وما أخبر به مِن خــروج الــدجَّال، ونـزول عيسى ابنِ مــريم - عليهما الصــلاة والســلام - وهــذه جَــراءة عظيمة وخطــيرة جدًّا؛ لأنَّ إنكــارَ الأحــاديث الثابتة عن النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - ومقابلتَها بالردِّ والاطِّراح يـدلُّ على الاسـتخفاف بـأقوال رسـولِ الله - صـلَّى الله عليه وســلَّم - ويســتلزم مشــاقَّتَه واتبــاع غــير ســبيل المؤمنين، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَـاقِقِ الرَّسُـولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِـيرًا﴾ [النسـاء: 115]، وقال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَـأْتِهِمْ تَأْوِيلُـهُ كَـذَلِكَ كَـذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَـانْظُرْ كَيْـفَ كَـانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: 39]، وليس إنكـارُ الأحـاديث الثابتة عن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - بالأمـر الهيِّن؛ لأنَّ الله تعالى يقـول: ﴿وَمَا آتَـاكُمُ الرَّسُـولُ فَخُـذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْـهُ فَـانْتَهُوا وَاتَّقُـوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَـدِيدُ الْعِقَـابِ﴾ [الحشر: 7].

وفي صحيح مسـلم عن أبي هريـرة - رضي الله عنه -: أنَّ رسول الله - صلَّى الله عليه وسـلَّم - قـال: ((أُمِـرتُ أن أُقاتلَ الناس حتى يشـهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنـوا



بي وبما جئتُ به، فإذا فعلـوا ذلك عصـموا منِّي دمـاءَهم وأموالهم، إلاَّ بحقِّها، وحسابهم على الله)).

وهذا يدلُّ على وجوب الإيمـان بكلِّ ما أخـبر به رسـول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - ممَّا كان في الماضي، وما يكون في المستقبل، ويـدلُّ أيضـًا على أنَّ عصـمة الـدمِ والمال إنما تكـون لِمَن آمن بالرسـول - صـلَّى الله عليه وسلَّم - وبكلِّ ما جاء به، ومَن لم يؤمن به وبما جــاء به، فليس بمعصوم الدَّمِ والمال، وفي هذا أبلغُ تشـديد على مَن يــردُّ الأحــاديث الثابتة عن النــبي - صــلَّى الله عليه وسلَّم - ويعارِضها برأيه، أو برأي غيره.

وقد قــال الإمــام أحمد - رحمه الله تعــالى -: مَن ردَّ حـديث رسـول الله - صـلَّى الله عليه وسـلَّم - فهو على شــفَا هَلَكة، وقــال إســحاق بن راهَوَيْــه: مَن بلغه عن رسول الله - صلَّى الله عليه وسـلَّم - خـبرٌ يقرُّ بصـحته، ثم ردَّه بغير تَقِية، فهو كافِر.

وقــال أبو محمد البربهــاري في "شــرح السـُّنة": إذا سمعتَ الرجل يطعن على الآثار ولا يَقبَلها، أو ينكر شـيئًا من أخبار رسـول الله - صـلَّى الله عليه وسـلَّم - فاتَّهمه على الإسـلام، فإنَّه رجل رديء المـذهب والقـول، وإنَّما يَطعن على رسول الله - صلَّى الله عليه وســلَّم - وعلى أصحابه.

وقال أيضـًا: لا يَخـرج أحـدٌ من أهل القبلة عن الإسـلام حتى يَرُدَّ آيةً من كتاب الله - عز وجل - أو يردَّ شــيئًا من آثار رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - أو يصلِّي لغــير الله، أو يـذبح لغـير الله، فقد وجب عليك أن تُخرِجه من الإسلام.



وقال أيضًا: مَن ردَّ آية من كتاب الله، فقد ردَّ الكتاب كلَّه، ومن ردَّ حديثًا عن رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - فقد ردَّ الأثر كلَّه، وهو كافِر بالله العظيم.

وقال إبراهيم بن أحمد بن شاقلا: مَن خالف الأخبار التي نقلها العدلُ عن العدل موصولة بلا قطْع في سندها، ولا جرْح في ناقليها، وتجرَّأ على ردِّها - فقد تهجَّم على ردِّ الإسلام.

وقال ابن حزم في "كتاب الأحكام": جاء النصُّ، ثم لم يختلف فيه مسلِمان في أنَّ ما صحَّ عن رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - أنَّه قاله ففرْض اتباعه، وأنَّه تفسير لمراد الله في القرآن، وبيان مجمله؛ انتهى.

وإذا عُلِم ما ذكرتُه من الآيات والحديث وأقوال أهل العِلم في التشديد على الذين يردُّون الأحاديثَ الثابتة عن النبيِّ - صلَّى الله عليه وسلَّم - فليُعلم أيضًا أنَّه قد ثبت في ظهور المهدي في آخِر الزمان عشرة أحاديث، وقد ذكرتُها وذكرتُ كلام العلماء في تصحيحها في أول كتاب "الاحتجاج بالأثر على مَن أنكر المهدي المنتظر"، فلتراجع هناك.

وأمَّا خروج الدجَّال، فقد جاء فيه أكثرُ مِن مائة وتسعين حديثًا من الصِّحاح والحِسان، وقد ذكرتُها في الجزء الثاني من "إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة"، فلتراجع هناك.

وقد تواترتِ الأحاديثُ في خروج الدجَّال من وجوه متعدِّدة، ذكرتُها في "إتحاف الجماعة"، ولو لم يكن منها سوى الأمر بالاستعاذة مِن فتنة الدجَّال في كلِّ صلاة، لكان ذلك كافيًا في إثبات خروجه، والردِّ على مَن أنكر ذلك، وقد روى عبدالرزاق بإسناد حسن، عن ابن عباس



- رضي الله عنهما - قـال: سـمعتُ عمر بن الخطـاب - رضي الله عنه - يقول: إنَّه سيخرج بعـدَكم قـوم يكذِّبون بالرجم، ويكذِّبون بالـدجَّال، ويكذِّبون بـالحوض، ويكذِّبون بعذاب القبر، ويكذِّبون بقوم يخرجون من النار.

وهـذا الأثر له حُكم المرفـوع؛ لأنَّ فيه إخبـارًا عن أمر غَيْـبيّ، وذلك لا يُقـال مِن قِبَل الـرأي، وإنَّما يقـال عن توقيف.

وقد ظهر مِصـداقُ ما جـاء فيه من التكـذيب بالـدجَّال وغيره، فـأنكرتْ طوائـفُ كثـيرة من الخـوارج والجهمية، وبعضِ المعتزلة خـروجَ الـدجَّال بالكلية، وردُّوا الأحـاديث الـواردة فيه، ذكر ذلك ابن كثـير في "النهايـة"، قـال: وخرجـوا بـذلك عن حيِّز العلمـاء لـردِّهم ما تـواترتْ به الأخبـارُ الصـحيحة عن رسـول الله - صـلَّى الله عليه وسلَّم.

وذكر النوويُّ في "شرح مسلم": أنَّ مذهبَ أهل السُّنة وجميع المحدِّثين والفقهاء والنظَّار إثباتُ خـروج الدجال، خلافًـا لِمَن أنكـره من الخـوارج والجهمية، وبعض المعتزلة؛ انتهى.

وقد تبع الخوارجَ والجهميَّةَ والمعتزلة على إنكار خـروج الـدجَّال كثـيرٌ مِن المنتسـبين إلى العِلم في زماننا وقبلَه بزمان، وأنكر بعضُهم كثيرًا من أشراط السـاعة، ممَّا هو ثـابت عن النـبي - صـلَّى الله عليه وسـلَّم - وبعضـُهم يتأوَّلها على ما يوافق عقليتَه الفاسدة، وقد ذكـرتُ بعض أقوالهم في "إتحاف الجماعة"، فلتراجع هناك.

ولو كان الذين أشرْنا إليهم أهلَ علم على الحقيقة، لَمَا ردُّوا شـيئًا من الأحـاديث الثابتة عن النـبي - صـلَّى الله عليه وسلَّم - ولكانوا يقابلونها بالرِّضا والقبول والتسليم.



وأمَّا نزول عيسى ابن مريم - عليهما الصلاة والسلام - في آخِر الزمان، فقد جاء فيه آياتٌ من القرآن، وتواترتِ الأحاديث عن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - بالإخبار بنزوله، وأنَّه يَقتل الدجَّالَ، ويكون في هذه الأمَّة حَكَمًا عدلاً، وإمامًا مُقسِطًا، وجاء في ذلك آثار كثيرة عن الصحابة والتابعين، وذكَر بعضُهم الإجماعَ على نزوله، وأنه لم يخالِفْ فيه أحدٌ من أهل الشريعة، وإنَّما أنكره الفلاسفة والملاحدة، ممَّن لا يُعتد بخلافهم، وقد ذكرتُ ذلك مستوفًى في "إتحاف الجماعة"، فليراجع هناك.

وأما ما جاء في العنوان الأوَّل عن نزول عيسى في آخر الزمان، فهل هو حقيقة يؤكّدها القرآن، أم مسألة تتنافَى مع الإسلام؟

فجوابه أن يُقال: بل نزول عيسى - عليه الصلاة والسلام - في آخِرِ الزمان حقيقةٌ يؤكّدها القرآن، قال الله تعالى في صِفة رسوله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 3 - 4]، وقد تَواتَر عن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - أنه أخبر بنزول عيسى - عليه الصلاة والسلام - في آخِر الزمان، فيجب الإيمانُ بذلك؛ لقول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: 7]، وقد جاء في ذلك آيتانِ من القرآن:

إحداهما: قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: 159]، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: "قبل موتِ عيسى ابن مريم"؛ رواه ابن جرير بإسناد صحيح.

وروى الحاكم في مستدركه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في هذه الآية قال: "خروج عيسى ابن مريم"،



قـال الحـاكم: صـحيح على شـرط الشـيخين، ووافقه الذهبي في تلخيصه.

وروى أبو بكر الآجُـرِّيُّ في كتـاب "الشـريعة" عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في هذه الآية قال: يعني: أنَّه سـيدركه أنـاسٌ من أهل الكتـاب حين يُبعث عيسى فيؤمنـون به، وروى ابن مردويه عن أبي هريـرة - رضي الله عنه -: أنَّه قال في هذه الآية نحو قول ابن عبـاس - رضي الله عنهما.

وهذا القول هو الصـحيحُ في تفسـير الآية، وقد اختـاره ابن جرير وابن كثـير، وبه يقـول أبو مالك والحسن وقتـادة، وعبـدالرحمن بن زيد بن أسـلم، وغـيرهم، قـال الحسن: والله إنَّه لحيٌّ الآن عند الله، ولكن إذا نَـزَل آمنوا به أجمعون؛ رواه ابن جرير.

وأمَّا قـول مَن قـال من المفسـِّرين: إنَّ الضـمير في قوله: ﴿قَبْـلَ مَوْتِـهِ﴾ يعـود إلى الكتـابيّ، فليس فيه معارضة لِمَـا تقدَّم، فقد يـؤمن كلُّ كتـابي عند احتضـاره بـأنَّ عيسى عبدُ الله ورسـوله، ولكن لا ينفعه إيمانُه في هـذه الحالة، وأمَّا الـذين يؤمنـون به بعد نزوله في آخِـرِ الزمان، فإنَّ إيمانهم به ينفعهم، والله أعلم[1].

الآية الثانية: قوله تعـالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّـاعَةِ﴾ [الزخـرف: 61]، وقـرأ ابن عبَّاس وأبو هريـرة وقتـادة والأعمش: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّـاعَةِ﴾ بفتح العين واللام؛ أي: أمـارةٌ وعلامة على اقـتراب السـاعة، قـال ابن عبـاس - رضي الله عنهما - في قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ قـال: هو خـروج عيسى بن مـريم يـوم القيامة؛ رواه الإمـام

[1] هـذا فيه نظر، وقد عـارض هـذا القـول المهـدي في ردِّه على سـلمان العـودة، فلـيراجع مـا ذكـر (ص: 75) من كتـاب "كشف اللثـام عن جهل سلمان العودة على أمر مهدي الإسلام".



أحمد وسعيد بن منصور وعبدُ بن حميد، وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم في مستدركه، وصحَّحه هو والذهبي، وقد رواه ابن حبَّان في صحيحه، والحاكم، من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ قال: "نزول عيسى بن مريم قبل يوم القيامة"؛ صححه الحاكم والذهبي.

وقد رُوي عن أبي هريرة ومجاهد، والحسن وقتادة، وأبي العالية وأبي مالك، وعكرمة والضحَّاك نحوُ قول ابن عباس - رضي الله عنهما.

وممَّا جاء في الآيَتين والأحاديث الثابتة عن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - في نزول عيسى - عليه الصلاة والسلام - في آخِر الزمان، وما قاله ابن عباس وأبو هريرة وغيرهما من السَّلف في تفسير الآيتين من سورة النساء وسورة الزخرف - يُعلم أنَّ نزول عيسى - عليه الصلاة والسلام - حقّ، والحقُّ لا يَتنافى مع الإسلام، ومَن زعم أنَّ نزوله يتنافى مع الإسلام، فهو ممَّن يشكُّ في إسلامه؛ لأنَّه لم يحقِّق الشهادة بأن محمدًا رسول الله؛ إذ لا بدَّ في تحقيقها من التصديق بكلِّ ما أخبر به رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - من أمور الغيْب، ممَّا كان فيما مضَى، وما سيكون في المستقبل.

وأمَّا قول بعض المتخرِّصين: إنَّ الأحاديث الواردة في نزول عيسى كلَّها مزيَّفة لا يقبلها العقل.

فجوابه أن يُقال: هذه مكابرة لا تصدُر من رجل له أدْنَى مُسْكة من عقل ودِين، وإذا كان عقل المرء فاسدًا، فلا شكَّ أنه يتصوَّر الحق في صورة الباطل، وقد



جاء في نزول عيسى - عليه الصلاة والسلام - أكـثرُ من خمسـين حـديثًا مرفوعًـا، أكثرُها من الصـحاح، والبـاقي غالبُه من الحســـان، فمَن زَعَم أنَّها كلها مزيَّفة فلا شك أنَّه فاسد العقل والدِّين.

وأمَّا قــول المتخرِّص: إنَّ نــزول المســيح لا يُقرُّه المنطق.

فجوابه أن يقــال: أمَّا المنطق المســتقيم، والعقل السَّليم الـذي يـدور مع الحقِّ حيثما دار، فإنَّه لا يتوقف عن قَبـول ما جـاء في كتـاب الله تعـالى، وما تـواتَر عن رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - في نزول المســيح في آخِر الزمـــان، وأمَّا المنطق المنحـــــرِف، والعقل الفاسِـــد، فإنَّه لا يتوقَّف عن ردِّ الحق وعـــدم قَبوله، ولا عِبرةَ بالعقول الفاسدة، ولا بأهلها.

وأما قوله: وهو مستحيل؛ لأنَّ محمدًا هو آخِرُ الأنبيـاء بنصِّ القرآن.

فجوابه أن يُقال: إنَّ عيسى - عليه الصلاة والسـلام - إذا نزل في آخِر الزمان لا يأتي بشـَرْع جديد، ولا يحكم بالإنجيل، وإنما يحكم بكتـاب الله تعـالى، وسُـنَّة رسـوله محمَّد - صلَّى الله عليه وسـلَّم - ويكـون واحدًا من هـذه الأمَّة، وقد روى الإمام أحمد والبخـاري ومسـلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قـال رسـول الله - صـلَّى الله عليه وسلَّم -: ((كيف أنتم إذا نَزَل عيسى ابنُ مريم فيكم، وإمامُكم مِنكم))،وفي رواية لمســلم: ((كيف أنتم إذا نَزَل فيكم ابنُ مـريم فـأمَّكم منكم))، قـال الوليد بن مســـلم: فقلت: لابن أبي ذئب: إنَّ الأوزاعي حدَّثَنا عن الزهري عن نافع عن أبي هريرة: ((فـأمَّكم منكم)) قـال ابن أبي ذئب: تـــدري ما أمَّكم منكم؟ قلت: تخـــبرني،



قال: فأمَّكم بكتاب ربِّكم تبارك وتعالى، وسُنَّة نبيِّكم - صلَّى الله عليه وسلَّم.

وقال أبو ذرٍّ الهروي: حدَّثنا الجوزقي عن بعض المتقدِّمين قال: معنى ((إمامُكم منكم)): أنَّه يحكم بالقرآن لا بالإنجيل، وقال ابن التِّين: معنى قوله ((وإمامُكم منكم)): أنَّ الشريعة المحمديَّة متصلة إلى يوم القيامة، وأنَّ في كل قرن طائفةً من أهل العلم.

وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح على شرْط الشيخَين، عن سمرة بن جندب - رضي الله عنه -: أنَّ نبي الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - كان يقول: ((إنَّ الدجَّال خارج - فذكر الحديث وفيه -: ثم يجيء عيسى ابن مريم - عليهما السلام - مصدِّقًا بمحمد - صلَّى الله عليه وسلَّم - وعلى مِلَّته، فيقتل الدجال، ثم إنَّما هو قيام الساعة))؛ وقد رواه الطبراني، قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح.

وروى الطبراني أيضًا في الكبير والأوسط، عن عبدالله بن المغفل - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((ما أهبطَ الله تعالى إلى الأرض منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة فِتنةً أعظم من فتنة الدجال - فذكر الحديث وفيه -: ثم ينزل عيسى ابن مريم مصدِّقًا بمحمَّد - صلَّى الله عليه وسلَّم - وعلى ملَّته إمامًا مهديًّا، وحَكمًا عدلاً، فيقتل الدجَّال))، قال الهيثمي: رجاله ثقات، وفي بعضهم ضعْف لا يضر. اهـ.

قلت: والحديثُ قبله يشهد له ويقوِّيه.



وأما قوله في أحد العناوين: لو كان من أصول الإيمان الاعتقادُ برجعة المسيح، أو ظهور الدجَّال أو المهدي، لجاءَ ذلك في القرآن صريحًا مُحْكمًا.

فجوابه أن يُقال: كلُّ ما ثبت عن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - أنَّه أخبر بوقوعه، فالإيمان به واجب، وذلك من تحقيق الشهادة بأنَّ محمدًا رسول الله، وتحقيقها من أصول الإيمان، ولا يكون المرء مؤمنًا معصومَ الدم والمال، حتى يحقِّق الشهادة بالرسالة؛ لقول النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((أمرتُ أن أقاتلَ الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلاَّ الله، ويؤمنوا بي، وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا منِّي دماءهم وأموالهم، إلاَّ بحقِّها وحسابهم على الله))؛ متفق عليه.

وقد ثَبَت عن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - أنَّه أخبر بظهور المهدي في آخِر الزمان، وبخروج الدجَّال، ونزول عيسى ابن مريم - عليهما الصلاة والسلام - فوجَبَ الإيمان بذلك؛ تصديقًا لقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 3 - 4]، وعملاً بقول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: 7]، وبما جاء في آياتٍ كثيرة من الأمر بالإيمان بالرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم - والإيمان به لا يتمُّ إلاَّ بامتثال أمره واجتناب نهيه، وتصديق أخباره والتمسُّك بسنته، وعملاً أيضًا بما جاء في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - الذي تقدَّم ذِكْره.

وأما قوله: ثم كيف يملأ المسيح الدنيا عدلاً بعد أن ملئت جورًا؟ وهل هذا من سُنَّة الله تعالى في الحياة الإنسانية؟ وكيف يفيض المال عند رجعة المسيح؟! فلا يقبله أحد.



فجوابه أن يُقـال: مَن علم أنَّ الله على كلِّ شـيء قـدير، وأنَّه ما شـاء كـان، وعلم أيضـًا أنَّ رسـول الله - صـلَّى الله عليه وسـلَّم - لا يقـول إلاَّ الحق، ولا يخـبر إلاَّ بالصدق - لم يشكَّ في شيء ممَّا أخـبر به رسـول الله - صـلَّى الله عليه وسـلَّم - فيجب على المسلِم أن يـؤمن بكلِّ ما جاء عن اللهِ تعـالى، وما جـاء عن رسـول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - ولا يَعـترِض على أخبـار الصـادق المصدوق بـ"كيف ولِمَ"، وغير ذلك من أنـواع الاسـتفهام الذي يدلُّ على الشكِّ فيما أخـبر به رسـول الله - صـلَّى الله عليه وسلَّم - وعدم الإيمانِ به، وقد قال الله تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِـدُوا فِي أَنْفُسِـهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَـيْتَ وَيُسَـلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65].

وأمَّا قوله: وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة: أنَّ رسـول الله - صـلَّى الله عليه وسـلَّم - قـال: ((والـذي نفسي بيدِه ليوشكنَّ أن ينزلَ عيسى ابن مريم، فيكسـِر الصليب، ويقتل الخِنزير، ويضع الحرْب)).

فجوابه أن يُقـال: إنَّ الكـاتب قد صحَّف في لفظ الحديث، حيث قـال فيه: ((ويضع الحـرب))، والـذي في الحـديث: ((ويَضـَع الجِزية))، ومن تعمَّد التصـحيف في أقوال رسـول الله - صـلَّى الله عليه وسـلَّم - فهو داخل في عـداد الكـاذبين على رسـول الله - صـلَّى الله عليه وسـلَّم - وقد تـواتر عنه - صـلَّى الله عليه وسـلَّم - أنَّه قال: ((مَن كذَب عليَّ متعمدًا فليتبوأْ مقعدَه من النـار))، ولعلَّ الكاتب لم يتعمَّد التصـحيف، وإنَّما وقع منه سـهوًا، أو وجدَه في بعض الكتب الـتي لم تُصحَّح من الأخطـاء المطبعيَّة.



وأما قوله: وبعد، فـإنَّ هـذه المرويـات من الأحـاديث والأخبار، في شأن رجعة المسيح - عليه السلام - أو في شـأن ظهـور الـدجال أو المهـدي لا متعلَّق لها بالعقيـدة، سواء أصحَّتْ أو لم تصحّ، وأنَّ العقيـدة الإسـلامية قائمة على الإيمان بالله وملائكته ورسـله وكتبه واليـوم الآخِـر، والحساب والجزاء والجنة والنار.

فجوابه من وجهَين:

أحدهما أن يُقال: كلُّ ما أخبر به رسول الله - صلَّى الله عليه وسـلَّم - فالإيمـان به متعلِّق بالعقيـدة؛ لأنَّه لا يتم الإيمـان بالرسـول - صـلَّى الله عليه وسـلَّم - إلا بالإيمـان بأخبـاره، ومَن لم يـؤمنْ بأخبـاره، فهو فاسدُ العقيدة، وقد تقدَّم حديث أبي هريـرة - رضي الله عنه - وفيه أنَّ عصمة الدم والمال إنَّما تكون لِمَن آمن بما جاء به الرسول - صلَّى الله عليه وسلَّم.

الوجه الثاني أن يقال: إنَّ أهل السـُّنة والجماعة قد تلقَّوا ما جـاء عن النـبي - صـلَّى الله عليه وسـلَّم - في ظهور المهدي، وخروج الدجَّال، ونزول عيسى ابن مريم - عليهما الصلاة والسلام - بالقَبول، ودوَّنوا ذلك في كتب الصِّحاح والسُّنن والمسـانيد، وذكـروا مضـمونَه في كتب العقائد، قـال إمـام أهل السـُّنة أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - في عقيدة أهل السُّنة والجماعة الـتي رواها عنه عبـدوس بن مالك العطـار: والإيمـانُ أنَّ المسـيح الدجَّال خارج، مكتوب بين عينيه كـافر، والأحـاديث الـتي جاءتْ فيه، والإيمان بأنَّ ذلك كله كـائنٌ، وأن عيسى ابن مريم ينزل فيقتله بباب لدّ"؛ انتهى.

وقـال أبو محمد البربهـاري - رحمه الله تعـالى - في "شرح السنة": والإيمان بنزول عيسى ابن مريم - صلَّى



الله عليه وسلَّم - ينزل فيَقتل الـدجَّال، ويـتزوَّج، ويصلِّي خلف القــائم مِن آل محمد - صــلَّى الله عليه وســلَّم - ويموت ويدفنه المسلمون؛ انتهى.

والقــائم من آل محمَّد - صــلَّى الله عليه وســلَّم - هو المهدي؛ كما جاء في حديث جابر - رضي الله عنه -: أنَّ رســول الله - صــلَّى الله عليه وســلَّم - قــال: ((يــنزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرُهم المهدي: تعالَ صــلِّ بنا فيقــول: لا، إنَّ بعضــهم أمــيرٌ بعض تكرمة الله لهــذه الأمة))؛ رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده بإســناد جيِّد، وقد ذكره ابن القيم في الكتـاب "المنـار المـنيف"، وقال: إسناده جيد.

وقــال الطحــاوي - رحمه الله تعــالى - في العقيــدة المشــهورة: "ونــؤمن بأشــراط الســاعة، من خــروج الـدجَّال، ونـزول عيسى ابن مـريم - عليه السـلام - من السماء"؛ انتهى.

وقــــال أبو الحسن الأشــــعري في كتابه "مقــــالات الإسلاميين": جملة ما عليه أهل الحديث والسُّنة الإقــرار بالله تعــالى وملائكته وكتبه ورســله، وما جــاء مِن عند الله، وما رواه الثِّقاتُ عن رسـول الله - صـلَّى الله عليه وســلَّم - لا يــردُّون من ذلك شــيئًا... إلى أن قـــال: ويصدِّقون بخروج الدجَّال، وأنَّ عيسى ابن مــريم يقتله؛ انتهى.

وهــذا حكاية إجمــاع من أهل الحــديث والســُّنة على التصــديق بخــروج الـدجَّال، ونـزول عيسى ابن مـريم - عليهما الصـلاة والسـلام - وقتْله الـدجَّال، والعِـبرة بأهل الحديث والسـُّنة، ولا عِـبرة بمَن خـالفهم من أهل البِـدع والضلالة والجهالة.



وقال أبو محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني المالكيُّ - رحمه الله تعالى - في رسالته المشهورة: والإيمان بما ثَبَت من خروج الدجَّال ونزول عيسى - عليه الصلاة والسلام - حَكمًا عدلاً يقتُل الدجَّال؛ انتهى.

وقال أبو أحمد ابن الحسين الشافعي المعروف بابن الحدَّاد في عقيدة له: وأنَّ الآيات التي تظهر عند قُرْب الساعة من الدجال، ونزول عيسى - عليه الصلاة والسلام - والدُّخَان والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وغيرها من الآيات التي وردتْ بها الأخبار الصِّحاح - حقّ؛ انتهى.

وقال الموفَّق أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي في عقيدته المشهورة: ويجب الإيمان بكلِّ ما أخبر به النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - وصحَّ به النقل عنه فيما شاهدناه أو غاب عنَّا، نعلم أنَّه صدق وحقٌّ..... إلى أن قال: ومِن ذلك أشراط الساعة؛ مثل خروج الدجَّال، ونزول عيسى ابن مريم - عليه السلام - فيقتله، وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، وأشباه ذلك مما صحَّ به النقل؛ انتهى.

وقال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: مسألة: عيسى ابن مريم - صلَّى الله عليه وسلَّم - حيٌّ رفعه الله تعالى إليه برُوحه وبدنه، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: 55]؛ أي: قابضك، وكذلك ثبت أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق، فيقتل الدجَّال، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجِزية، حَكمًا عدلاً مقسطًا، ويُراد بالتوفِّي الاستيفاء، ويراد به الموت، ويُراد به النوم، ويدلُّ على كل واحد القرينةُ التي معه؛ انتهى.



وقال القاضي عياض في "شرح مسلم": نزول عيسى - عليه السلام - وقتله الدجَّال حقٌّ صحيح عند أهل السُّنة؛ للأحـاديث الصـحيحة في ذلك، وليس في العقل ولا في الشـَّرْع ما يبطله، فـوجب إثباتُـه، وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومَن وافقهم، وزعمـوا أنَّ هـذه الأحـاديث مـردودة بقوله تعـالى: ﴿وَخَـاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: 40]، وبقوله - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((لا نـبيَّ بعـدي))، وبإجماع المسلمين أنَّه لا نـبي بعد نبيِّنا - صلَّى الله عليه وسلَّم - وأنَّ شـريعته مؤبَّدة إلى يـوم القيامة لا تنسخ.

وهذا استدلالٌ فاسد؛ لأنَّه ليس المراد بـنزول عيسى - عليه السلام - أنَّه ينزل نبيًّا بشرع يَنسخ شـرعَنا، ولا في الأحاديث شـيءٌ من هـذا، بل صحَّت الأحـاديث أنَّه يـنزل حكمًا مقسطًا، يحكم بشرعنا، ويُحـيي من أمـور شـرعنا ما هجَـرَه النـاس؛ انتهى كلامه، وقد نقله النـووي في "شرح مسلم"، وأقرَّه.

وقال المناوي في "شرح الجامع الصغير": "أجمعوا على نزول عيسى - عليه الصلاة والسلام - نبيًّا، لكنَّه بشـريعة نبيِّنا - صلَّى الله عليه وسلَّم".

وقـال المنـاوي أيضـًا: "حكى في المطـامح إجمـاعَ الأمة على نزوله، ولم يخالِف أحدٌ من أهل الشـريعة في ذلك، وإنَّما أنكره الفلاسفة والملاحدة"؛ انتهى.

وقـال السـفاريني في شـرح عقيدته: "نـزول المسـيح عيسى ابن مريم ثـابتٌ بالكتـاب والسـُّنة وإجمـاع الأمَّة، ولم يخـالف فيه أحد من أهل الشـريعة، وإنَّما أنكر ذلك الفلاسـفةُ والملاحـدة، ممَّن لا يُعتد بخلافه، وقد انعقد



الإجمـــاعُ على أنَّه يـــنزل ويحكم بهـــذه الشـــريعة المحمدية"؛ انتهى.

هذا ما ذكره علماءُ المسلمين في خروج الدجَّال، ونزول عيسى - عليه الصلاة والسلام - في آخِرِ الزمـان، وفيه أبلغُ ردٍّ على قول الخطيب: أنَّ المرويـات من الأحـاديث والأخبـار في شـأن رجعة المسـيح، أو في شـأن ظهـور الدجَّال - لا متعلَّق لها بالعقيدة.

ومما ذكرتُه عن أهل العلم يتضِح أنَّ الخطيب قد خـالَف عقيـدة أهل السـُّنة والجماعة، وإجمـاعَهم على خـروج الدجَّال ونـزول عيسى - عليه الصـلاة والسـلام - ووافق أعـداءَ الإسـلام والمسـلمين من الفلاسـفة والملاحـدة، الــذين أنكــروا خــروجَ الــدجال، ونــزولَ عيسى - عليه الصلاة والسلام.

وأما قوله: ولو كان من أصول الإيمان - الإيمان برجعة عيسى أو ظهــور الــدجال أو المهــدي - لجــاء ذلك في القرآن الكريم صريحًا محكمًا.

فجوابه أن يقال: كلُّ ما أخبر به رسـول الله - صـلَّى الله عليه وسـلَّم - من المغيَّبـات مما كـان فيما مضى، وما سيكون في المستقبل، فالإيمانُ به داخل في ضِـمن الإيمـان بالرسـول - صـلَّى الله عليه وسـلَّم - وذلك مِن أعظم أصول الإيمان، وقد جاء الأمرُ بالإيمان بالرسول - صـلَّى الله عليه وسـلَّم - في آيـاتٍ كثـيرة من القـرآن، وكلهُّا محكمـات، والإيمـان بأخبـار الرسـول - صـلَّى الله عليه وسـلَّم - داخلٌ أيضـًا في ضِـمن قـول الله تعـالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: 7]، وداخلٌ أيضـًا في ضــمن قوله تعــالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُــونَ حَتَّى يُحَكِّمُــوكَ فِيمَا شَــجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِــدُوا فِي أَنْفُسِــهِمْ



حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65]، وداخلٌ أيضًا في ضمن قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63]، وهذه الآيات كلها مُحْكمات، وكلها تدلُّ على أنَّ تصديق أخبار النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - مِن أعظم أصول الإيمان.

وقد قال الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - في قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63] قال: أتدري ما الفِتنة؟ الفتنة: الشرك، لعلَّه إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيءٌ من الزيغ فيهلِك، ثم جعل يتلو هذه الآية: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: 65].

وأما قوله: إنَّ مثل هذه الأخبار تَفتح على الناس أبوابًا من الفِتن، حيث تتطلع نفوس كثيرة إلى ادِّعائها، كما حَدَث من ادِّعاء كثيرين لأنفسهم بأنَّهم المهدي المنتظر، فأوقعوا الفُرقة والقتالَ بين المسلمين، وأنَّه ليس ببعيد أن يقومَ في الناس يومًا من يدَّعي أنَّه المسيح المنتظر، فكيف تكون الحال حينئذٍ؟!

فجوابه أن يقال: إنَّ الأخبار الثابتة عن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - لا تُردُّ بمثل هذه الاحتمالات والتعليلات الخاطئة، بل تُصدَّق وتُقابل بالقَبول والتسليم، ولو افتتن بمضمونها مَن افتتن من الناس، وقد قال الله تعالى آمرًا رسولَه - صلَّى الله عليه وسلَّم - أن يقول للناس: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [النمل: 92].



وهكذا يُقال في الأخبار الثابتة عن النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - أَنَّها تُقابَل بالقَبول والتصديق، ولا يُلتفت إلى ما يكون مِن أهل الفِتن الذين يتأوَّلون الأحاديث على غير تأويلها، ويُطبقونها على ما لا تنطبق عليه.

ويقال أيضًا: إنَّ المهديَّ المنتظر إنَّما يخرج في آخِر الزمان قُرْبَ خروجِ الدجال، وعند انتشار الفوْضى والفتن، ثم ينزل عيسى - عليه الصلاة والسلام - فيصلِّي خلفَ المهدي أول ما ينزل - كما جاء ذلك في حديث جابر الذي تقدَّم ذكْرُه - ثم يذهب إلى الدجال فيقتله، وحينئذ يكون قيام الساعة قريبًا جدًّا، وعلى هذا فمَن ادَّعى من المفتونين أنه المهدي المنتظر، ولم يخرج الدجَّال في زمانه، فإنَّه دجَّال كاذب[1]، وكذلك من ادَّعى أنه المسيح ابن مريم، ولم يكن الدجَّال قد خرج قبلَه، فإنَّه دجَّال كاذب.

وللمسيح ابن مريم علامتان لا تكونان لغَيرِه من الناس:

إحداهما: أَنَّه يَقتل الدجَّال، كما تواترتْ بذلك الأحاديث.

والثانية: أَنَّه لا يحلُّ لكافر يجد ريح نَفَسِه إلاَّ مات، ونَفَسُه ينتهي حيث ينتهي طَرْفُه؛ كما جاء ذلك في حديث النواس بن سِمعان، الذي رواه الإمام أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: غريب حسن صحيح، وفي هاتين العلامتَين قطع لأطماع كل دجال يدَّعي أَنَّه المسيح ابن مريم.

[1] هذا اللازم يُعد لغوًا من الكلام لا حاجة له في تقرير صحة اعتقاد المهدي عن نفسه أنه المهدي، أو تصديق الآخرين له أنَّه المهدي المبشَّر به؛ وذلك لكون صِدق تحقق أنه المهدي قد ثبت يقينًا للبراهين السابقة على خروج الدجال، والتي على وَفقِها آمن المؤمنون به، ولزمهم بها نصرتُه والقتال معه؛ لفتح القسطنطينية وروما، وسائر البلدان، وكل ذلك يقينًا ممَّا يسبق خروج الدجال.



وقبل الخِتــــام أُحبُّ أن أنبَّه عبـــــدالكريم الخطيب على خطورة الأمر في ردِّ الأحاديث الثابتة عن النـبي - صـلَّى الله عليه وسـلَّم - سـواء كـانت من أحـاديث أشـراط الساعة، مثل ظهـور المهـدي، وخـروج الـدجَّال، ونـزول عيسى ابن مريم - عليهما الصـلاة والسـلام - وغـير ذلك مِن أشراط الساعة، أم كانتْ من غيرها، فإنَّ الـذي يـرد الأحاديث الثابتة عن النبي - صلَّى الله عليه وسـلَّم - إنَّما هو في الحقيقة يردُّ على النبي - صلَّى الله عليه وسلَّم - ولا ينسَ الخطيبُ قولَه تعالى: ﴿فَلْيَحْـذَرِ الَّذِينَ يُخَـالِفُونَ عَنْ أَمْــرِهِ أَنْ تُصِــيبَهُمْ فِتْنَــةٌ أَوْ يُصِــيبَهُمْ عَــذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النـور: 63]، وقـولَ النـبي - صـلَّى الله عليه وسـلَّم -: ((أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشــهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي وبما جئتُ به، فـإذا فعلـوا ذلك عَصـمُوا منِّي دماءَهم وأموالهم، إلاَّ بحقِّها، وحسابهم على الله)).

ولعلَّ الخطيب يُراجع الحق، فـإنَّ الحق ضـالَّة المـؤمن، والرجــوع إلى الحق واجب، كما أنَّ التمـادي في الباطل نقصٌ ورذيلة.

والله يَهدي مَن يشاء إلى صراط مسـتقيم، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّد، وعلى آله وأصــحابه، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

حرر في 16 /11/1402 هـ
حمود بن عبدالله التويجري